الثورة
الخميس 24 ذو القعدة 1433هـ 11 أكتوبر 2012م العدد (17494)

وزارة الدفاع تعتدي على قصر غمدان ببناء جدار حجري على السور

أجهزة حكومية، ونافذون يقودون حملة خراب لمعالم صنعاء القديمة

أمانة العاصمة والأشغال تستعدان لهدم عشرة منازل قديمة .. وهيئة المدن تعتبرها سابقة خطيرة

وصل الاستهتار والعبث بالتراث اليمني إلى حد يفوق التصور ولم تستطع الدولة أن تحمي هذا التراث، ولعل المدن التاريخية التي تمثل أهم مكونات التراث اليمني وسجلت مدنا يمنية ثلاث ضمن قائمة التراث الإنساني العالمي، إلا أن هذه المدن الثلاث خاصة زبيد وتليها صنعاء القديمة تتعرضا لاعتداءات وتخريب متواصل ، وما يصيب المرء بالذهول والاندهاش أن الدولة التي يفترض بها أن تحمي هذا التراث هي ذاتها من تقود عملية التخريب والعبث وتمارس بعض أجهزتها والمحسوبين عليها أبشع أنواع العبث والدمار لتراث هذه المدن، ولعل ما حدث ويحدث ومتوقع حدوثه لمعالم وتراث مدينة صنعاء القديمة من أفعال أبطالها إما أجهزة الدولة ومؤسساتها أو نافذون تدعمهم الدولة مع أن هذه الدولة نفسها أوجدت هيئة مهمتها الحفاظ على هذه المدن، وهنا يتضح التناقض وكأننا نتحدث عن عدة أجهزة الأولى تهدم وتخرب المعالم التاريخية والثانية تحاول الحفاظ عليها إلا أن الأولى أقوى بمعنى أن التشويه والخراب أقوى من الحفاظ وهذا ما سنحاول تفصيله في الأسطر التالية:

تحقيق وتصوير/عبدالباسط محمد النوعة

اعتداءات سافرة نفذتها بعض أجهزة الدولة في صنعاء القديمة وهي عبارة عن هدم مبان تاريخية لبناء مبان حكومية حديثة بدلا عنها أو استحداث مبان حكومية في مساحات فارغة يمنع البناء عليها داخل مبنى الأمن القومي ومبنى المؤسسة الاقتصادية في حارة الحرقان والعرضي خير دليل على ذلك وها هي الاعتداءات تتوالى على هذه المدينة فمؤخرا تم الاعتداء على قصر غمدان التاريخي وما يعرف الآن بـ(قصر السلاح) ولا يزال هذا القصر موقعاً عسكرياً رغم أنه بالإمكان أن يحول إلى متحف أو شيء آخر يعزز السياحة ، ومع هذا لم يتم الحفاظ على الطابع المعماري لهذا القصر من قبل ساكنيه حيث يتم الآن استحداث بناء جداري باسلوب حديث على السور القديم للقلعة ، وهذا ما أكده القائم بأعمال رئيس الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية المهندس جميل شمسان لـ(الثورة) معتبرا هذا الاعتداء تواصلا لمسلسل الاهمال والعبث الذي تقوم به بعض الأجهزة الحكومية تجاه تراث هذه المدينة، فلم يتم الرجوع إلى الهيئة من قبل القائمين على هذا القصر ومع ذلك قامت الهيئة بإرسال مذكرة إلى قائد قصر السلاح بضرورة وقف هذا البناء المشوه ، ولكن دون جدوى، عززنا المذكرة بمذكرة أخرى إلى الأخ وزير الثقافة والذي بدوره بعث بمذكرة إلى الأخ وزير الدفاع، رفعنا مذكرات مناشدات للأخ رئيس الجمهورية والأخ رئيس الوزراء دعوناهم للتدخل ووقف هذا التشويه وإزالته ولكن ماذا حدث توقف العمل أربعة أيام وهاهم يعاودون البناء دون الالتفات إلى أحد وهذا الاعتداء الجسيم من شأنه أن يخفي معالم قصر شامخ ويقضي على قيمته المعمارية الكبيرة وهو مؤشر خطير كونه يستهدف معلماً تاريخياً عظيماً يحتل شهرة واسعة وحظي بمكانة مرموقة في كتب التاريخ وفي وقت تتعالى فيه الأصوات بضرورة تحويل هذا القصر إلى متحف أو مزار سياحي للسياح المحليين والأجانب نفاجأ بهذا الاعتداء.

مشروع متعثر

وكشف شمسان عن مشروع تخريبي آخر تنوي بعض الجهات الحكومية القيام به وهذا المشروع إذا ما تم يعتبر جريمة كبرى وأبشع اعتداء تتعرض له مدينة صنعاء القديمة .. يقول شمسان: لدينا عشرة منازل تضررت جراء اختلالات في شبكة الصرف الصحي في حارة الجامع الكبير ، وهذا الموضوع معروف ومضى عليه سنوات طويلة وقد قرر ترميم هذه المنازل وفعلا بدأ العمل بتمويل من المجلس المحلي وإشراف فني من هيئة الحفاظ على المدن التريخية وهذا المشروع بطيء إلى درجة كبيرة جدا ويدفع الأهالي بدل إيجارات منذ سنوات وصرفت ملايين الريالات في هذا المشروع البطيء الذي توقف نهائيا قبل شهرين بعد أن تخرب منزل عصدة جراء الأمطار، وحقيقة فهذا المنزل لم تؤثر فيه الأمطار إلا بعد الخراب المتعمد من قبل المنفذين لهذا المشروع وعندما كنا نحاول إقناع المقاول يقول أنا متعاقد مع أمانة العاصمة والأشغال ولا دخل لي بالهيئة وكلا الجهتين وجهته بتدمير هذا المنزل، والأخطر من هذا كله والمحزن المؤلم هو ما تنوي هاتان الجهتان القيام به والمتمثل بإزالة هذه المباني العشرة بشكل كامل وتحويل أماكنها إلى مواقف للسيارات وتوسيع الجامع الكبير وهذا مشروع تدميري بشع يستهدف حضارة شعب وتراث أمة ومن شأنه أن يقضي على النسيج الفريد لهذه المدينة العريقة فالعالم يهتم إذا ما وجد حجراً تاريخياً ونحن نهدم مباني تاريخية بكاملها .. يالالغرابة.

وأضاف: كيف نستطيع أن نلزم المواطن العادي بالحفاظ على المدينة في أملاكه الخاصة والدولة نفسها تقوم بممارسة أبشع الاعتداءات والعبث فالمواطن يخالف لبناء غرفة أو استحداث جدار أو دكان وغيره بينما الجهات الحكومية تعتدي وتدمر وتزيل منازل بكاملها وتبني أخرى بنمط مشوه وباستخدام الاسمنت، حتى أن المواطنين العاديين ولا نقصد النافذين يلتزمون للهيئة بالبناء وفق النمط التقليدي باستخدام الياجور بينما المؤسسات الحكومية لا تلتزم مطلقا وتبني كيف تشاء، أما النافذون فحدث ولا حرج.

نافذ أو رجل أعمال اسمه خالد النعمان استحدث مبنى ضخماً بالحجر الأبيض فنزل المفتشون لمنعه مع جنود من حراسة المنشآت الذين لديهم توجيهات بعدم الخروج لأن مهمتهم حراسة المنشآت فقط ، عندما خرج الفريق إلى الموقع وجدوا أن هناك أطقماً عسكرية (اثنين) تحمي هذا المخالف ليمضي في مخالفته .. رجل أعمال آخر اسمه (أبومنصر) بعد أن بنى فندقا كبيرا في حارة الفليحي هاهو الآن يعيث خرابا في ثلاثة منازل بالجوار وعندما نزل المفتشون لمنعه إلا أنه وعبر معارف له ربما بالنيابة ألبسهم قضية وأوقفهم عن العمل وها هو الآن يعمل ما يشاء.

تهميش متعمد للهيئة

وعن دور الهيئة وموقفها من كل هذه الاختلالات والخروقات التي ذهبت بزبيد وها هي تسعى إلى الذهاب بصنعاء القديمة وما تبقى لها من معالم وسمات حضارية يوضح المهندس جميل بنبرة حزن وأسى: أي هيئة تتحدث عنها .. هيئة لم تستطع تغيير مدير عام الشؤون المالية والذي يعرقل الكثير من أعمال الهيئة ويقف حجر عثرة في ما تبقى لها من أعمال وعندما شرحنا الوضع للأخ وزير المالية ولدينا وثائق تثبت صحة كلامنا إلا أننا فوجئنا بوزير المالية يدافع عنه باستماتة، هذا شيء والشيء الآخر جهات حكومية نجتمع معها وكل جهة تلتزم بتنفيذ ما يتوجب عليها للحفاظ ولكن في الواقع لا يتم تطبيق أي شيء، اجتماعات كثيرة ما هي إلا لتضييع الوقت كم يا توجيهات من فخامة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ولكن على الواقع لا ينفذ منها شيء (حافظوا على زبيد، ينبغي الحفاظ على صنعاء القديمة) والواقع أنها هذه المدن في طريقها إلى الاندثار ونقصد بذلك المعالم الحضارية والتاريخية إذا ما استمر الوضع بهذه الطريقة فماذا بعد أن ترتكب الدولة بنفسها وتقود عملية التخريب بهذه المدن فالأمن القومي لم يستجب لنا ووزارة الدفاع لم تعرنا حتى انتباهها والأطقم العسكرية تحمي المخالفين والوساطات الكبيرة لصالح الخراب فها هي الوساطات تتوالى علينا للسماح لاتحاد نساء اليمن بالبناء في أحد الفراغات العامة بالمدينة وهذا ممنوع جدا، ناهيك عن التهميش والتجاهل المتعمد للهيئة وتفعيل دورها حتى النفقات التشغيلية البسيطة لم نستطع الحصول عليها، لدينا ثلاثة ملايين ريال خصصت منذ ثلاث سنوات لترميم ستة منازل في مدينة زبيد ورغم التوجيهات بصرفها على عهدة مدير فرع الهيئة هناك إلا أن مدير الشؤون المالية بالهيئة يعرقل هذا منذ زمن ولا يوجد من يوقفه عند حده مع أن ثلاثة ملايين لا تكفي حقيقة لترميم بيت واحد ومع ذلك خصصناها لستة منازل وها هي لن تأت بعد أن كان لدينا عشرون مليون ريال للدراسات، الآن بدلا من أن يرتفع هذا الرقم نزل إلى أبعد ما يمكن تصوره ووصل إلى (٣٠٠) ألف ريال فقط والكل يطالب الهيئة بالقيام بمهامها من حماية المدن التاريخية فكيف ذلك؟

لافتا إلى أمر في غاية الأهمية أنه إذا خرجت إلى مدينة من قائمة التراث العالمي فإن هذا يترتب عليه عقوبات ضد الدولة التي خرجت مدينتها من هذه القائمة وهي قاب قوسين أو أدنى والاحتمالات كبيرة أن تلحقها صنعاء القديمة.

أطقم عسكرية تحمي أحد النافذين المخالفين .. ووساطات لبناء مقر لاتحاد نساء اليمن في أحد الفراغات

هيئة الحفاظ على المدن تشكو ماليتها .. ومفتشوها يتعرضون للتوقيف عن العمل بضغط المخالفين